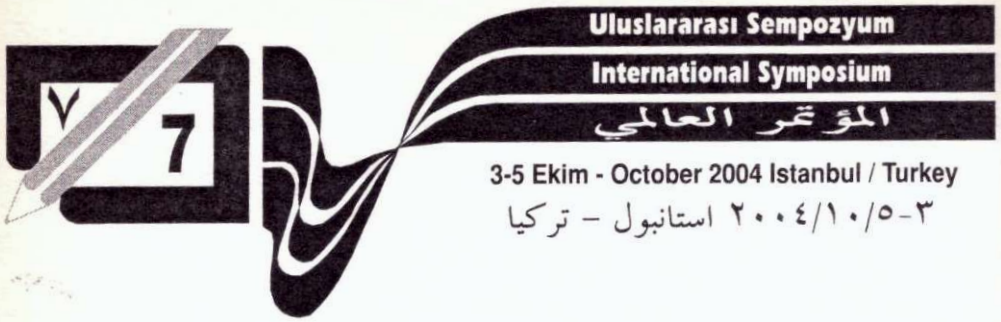

المؤتـــمر العالمي الســـابع
لبديع الزمان سعيد النورسي

ممارسة حياة ايمانية فاعلة

في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات
من خلال رسائل النور

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
Ekim 2004
الترقيم الدولى
ISBN: 975-269-043-2
شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع

فلسفة الأمن والأمان عند الإمام بديع الزمان

أ.د. ميمون باريش
أستاذ السنة وعلومها،
جامعة القاضي عياض، مراكش).

توطئة: لقد بات من نافلة الكلام الحديث عما تعانيه البشرية في زماننا ـــ أكثر من أي وقت مضى ـــ من تنامي ظاهرة مرضية غريبة، تتسارع وتيرتها إلى مستويات خطيرة أضحت تهدد أمن الأبرياء في مشارق الأرض ومغاربها، وهي ظاهرة العنف والإرهاب، وما يقترن بها من أعمال همجية ووحشية فظيعة، وما يحصل بسببها في كثير من بلدان العالم من ترويع وتشريد وتخريب، واختطافات واغتيالات وتفجيرات مروعة تريق دماء الأبرياء، وتزهق أرواحهم، وتهدم مبانيهم، وتتلف أموالهم، بلا حسيب داخلي، ولا رقيب إيماني؛ فمتى حصلت هذه الآفات إنْ كلا أو بعضا نُسف الأمن والاطمئنان، وسادت أعمال الفوضى والشغب والتسيب.

وحقيقة الأمر أن ظاهرة العدوان قد وجدت مع البدايات الأولى لوجود الإنسان على وجه البسيطة، واستمرت بشكل أو بآخر إلى أن صارت إلى ما هي عليه الآن من الفظاعة والبشاعة؛ وهذا ليس بالأمر الغريب، وإنما الغريب فيه أن تُلقى تبعات العنف والإرهاب على دين سماوي يعلم الباحث المبتدي ـــ بله المنتهي ـــ أن من خصائصه العظمى اليسر والسماحة، ومن مقاصده العامة: حفظ الأمن بمفهومه الواسع، وذلك من خلال حرصه على حماية الدين والنفس والعقل والمال والعرض والحرية...

1. مفهوم الأمن في ضوء التوجيهات الشرعية:

جاء في كثير من النصوص القرآنية أن الأمن نعمة ربانية يهبها الله تعالى لمن أحب من عباده الصالحين، من ذلك قوله تعالى(فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ

وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْف)[قريش/5.4]؛ وقوله عزوجل(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون)[الأنعام/82].

فدل هذان النصان وغيرهما من نصوص القرآن، على أن الأمن نعمة ربانية فاضلة يظفر بها الموحدون الذين استقاموا على المحجة البيضاء، ولم يشركوا بالله شيئا، ولم يلتفتوا إلى إله غيره، وأخلصوا العمل للواحد الأحد، واستقاموا على أمره، وزهدوا في الفانية، ورغبوا في الباقية، فلم يذنبوا إلاّ لَمَما، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، واعتدلوا على طاعة الله تعالى، واجتناب معصيته: اعتقادا وقولا وعملا، وداموا على ذلك[1]، فمتى كان الناس على تلك الحال من الإخلاص والاستقامة، تحقق فيهم وعد الله الصادق، فظفروا بالتمكين والاستخلاف، وعمَّهم الأمن بعد الخوف، وغمرهم الطمأنينة بعد الاضطراب، يقول الحق سبحانه وتعالى(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[النور/55].

والجدير بالذكر أن الأمن نعمة ربانية عظيمة تستوجب الشكر والعرفان، وإلا عوقب الكافر بها والمنكر لها بالحرمان، وهذا عينه ما يحصل مع جميع النعم الربانية، يقول عز وجل(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد)[إبراهيم/7].

وقد قص الله تعالى في القرآن الكريم ما عاقب به الأمم السابقة لما كفرت بنعمه، وجحدت فضله، وبارزته بالمعاصي، فقال جل شأنه(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)[الفجر14/6].

فذكر الله تعالى ما كان فيه هؤلاء من النعمة والغبطة، وما تحقق لهم من العيش الهنيء والرزق الرغيد، والبلاد المرضية والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة، وما كانوا يتمتعون فيه من الاتساع في الأرزاق والزروع والثمار، غير أنه لما قوبل هذا كله بكفر النعمة

والطغيان والجبروت والمعصية والفساد والإفساد، وغيرها من الأفعال الموجبة لغضب الرحمن، استدعى ذلك انتقام الباري جلت عظمته، قال تعالى(وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)[النحل/112].

وقد حث الشرع الحنيف على ضرورة السعي إلى تحقيق الأمن، ونهى عن كل ما من شأنه أن يسيئ إلى الحرث والنسل من أعمال التخريب والفساد، فقال تعالى(كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[البقرة/60]، وقال جل شأنه(وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ)[البقرة/205].

ليس هذا فحسب، بل إن الله تعالى قضى ــ وقضاؤه حق ــ أن يُقتص من المفسدين في العاجل والآجل، فأمر بتغليظ عقوبتهم في الدنيا، وسومهم العذاب العظيم في الآخرة، يقول تعالى(إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[المائدة/33].

وإذا كان من تجليات تحقيق الأمن وحفظه صيانةُ الأنفس وحمايتها من التلف، فإن الله تعالى نهى نهيا شديدا عن قتل النفس البريئة بغير الحق، قال عز من قائل(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)[المائدة/32]، وقال جلّ شأنه في إحدى الوصايا العشر(وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[الأنعام/151]؛ فالنفس جاءت في النص الأول مطلقة، وهي مقترنة بالتنوين، وجاءت في النص الثاني عامة ومعرَّفة بـ**أل**، وكلاهما سيق لإفادة الاستغراق، وفي ذلك كفاية لإقامة الدليل القاطع على أنه لا يجوز لأحد قتل النفس البريئة ــ مسلمة كانت أو غير مسلمة ــ إلاَّ بالحق.

ومن حيث إن السنة النبوية الشريفة جاءت خادمة للقرآن الكريم، وقاضية عليه، فإنها شددت هي الأخرى في النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلاّ بالحق، وذلك في نصوص حديثية كثيرة، منها:

ـــ قول رسول الله ρ :«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله تعالى»[2].

ـــ وقوله ρ :«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[3]،

ـــ وقول النبي ρ «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»[4].

وفي الأثر الشريف أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما نظر يوما إلى البيت أو إلى الكعبة فقال:«ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك»[5].

فهذه النصوص الواضحة الدلالة ـــ ونصوص شرعية أخرى ـــ تفيد بمنطوقها ومفهومها التشديدَ والمبالغة في النهي عن قتل النفس المسلمة؛ وما قيل عن المسلمين يقال أيضا عن غيرهم، فقد دعا الشرع الحنيف إلى تأمين غير المسلمين ما لم يكونوا من المحاربين لأهل الإسلام أو من المعاونين على إخراجهم من ديارهم، مثلما حثّ على احترامهم، والإحسان إليهم، والبر بهم، والعدل في معاملاتهم، وعدم التعرض لهم بالأذى، يقول تعالى(لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [الممتحنة/9.8]؛ وفي الحديث الشريف أن النبي ρ قال:«المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، لا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده، ولا يتوارث أهل ملتين»[6]؛ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ρ قال:«من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما»[7]، وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه:«وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا»[8].

فهذه النصوص الشرعية فيها زجر شديد، وردع بليغ، ووعيد عظيم، ونهي صريح عن قتل المعاهد، وهو المستأمن من غير المسلمين.

إضافة إلى ما سبق ذكره، فإن الشرع الحنيف ـــ تعظيما منه لشأن النفس الإنسانية ـــ حرم قتل الكافر بمجرد أن ينطق بكلمة التوحيد، ويؤيد هذا ويؤكده ما روي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: بعثنا رسول الله ρ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال:«لا إله إلا الله»، فكف الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته؛ فلما قدمنا بلغ النبي ρ ذلك، فقال:«يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إلاه إلاّ الله؟» قلت: كان متعوذا. قال: فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[9]. وهذا يدل أعظم الدلالة على حرمة الدماء، وعظمتها عند الله تعالى، فلا يجوز هدرها إلاّ بعد التحري الشديد، والتثبت التام، فهذا رجل مشرك، وهم مجاهدون في ساحة القتال، فلما ظفروا به نطق بالتوحيد، فلم يشفع له ذلك عندهم، فقتلوه ظنا منهم أنه قالها تقية، ومع ذلك فقد شدد رسول الله ρ في الإنكار على حِبِّه أسامة بن زيد.

يتبين مما سبق ذكره أنه يجب تأمين المُسالمين الآمنين في معتقداتهم وأنفسهم، وأموالهم، ولا يجوز ـــ بأي حال من الأحوال ـــ ترويعهم أو الاعتداء عليهم، كما لا يجوز قتل النفس المعصومة بغير حق، ومن الأنفس المعصومة: أنفس المسلمين، وأنفس المعاهدين المستأمنين.

في ضوء التوجيهات الشرعية السابقة سعى الإمام بديع الزمان النورسي إلى بيان أن ربانية التشريع الإسلامي، وواقعيته قضت أن «تضع أعظم دستور للعدالة المحضة التي تقرر: أنه لا يهدر دم بريء، ولا تزهق روحه حتى لو كان في ذلك حياة البشرية جمعاء»[10]. وهذه الخصيصة ـــ في نظر النورسي ـــ تمثل جوهر الخلاف بين سياسة المدنية الحاضرة، وعدالة الإسلام: إذ من تشريعات الأولى أن تُضَحِّي بالأكثرية الساحقة في سبيل تحقيق مصالح الأقلية القليلة، في حين تأبى عدالة التشريعات الإلهية أن تضحي بحياة برئ واحد ـــ كائنا من كان ـــ أو أن يهدر دمه لأي مسوّغ كان، ويشهد لهذا ويؤيده على حد تعبير الأستاذ النورسي أن الدستور الإسلامي العادل«ينظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة، فهم سواء في نظر العدالة الإلهية، مثلما أنهم سواء في نظر القدرة الإلهية، وهذه سنة دائمة. إلاّ أن الشخص يستطيع ـــ برغبة من نفسه ـــ أن يضحي بنفسه، من دون أن يُضحّي به قطعاً، حتى في سبيل الناس جميعاً.

لأن إزهاق حياته وإزالة عصمته، وهدر دمه بإبطال حق الناس جميعاً شبيه بإزالة عصمتهم جميعاً، وهدر دمائهم جميعاً»[11].

في ظل هذه القناعات الإيمانية الراسخة، والمبررات المنطقية السليمة، عمل العلامة سعيد النورسي على شحذ همم الأتباع للإسهام في تحقيق الأمن والأمان، وذلك من خلال كليات رسائله، التي لم تأت إلاّ لتمكين الدين وإظهاره، وخدمة الوطن وإسعاده، وبناء المواطن الصالح في نفسه، والساعي إلى إصلاح غيره.

2. جهود الإمام النورسي في تحقيق الأمن والأمان:

إذا كانت ظاهرة العنف والإرهاب قد ألقت بظلالها على حياة الناس، وملأت عليهم أوقاتهم، وشغلت حيزا كبيرا من فكر المهتمين من الدعاة والمصلحين، وإذا كانت رسائل النور قد نشأت في أحضان القرآن الكريم والسنة الشريفة، وشكّلت امتداد زمنيا، وتعبيرا حيا عن الواقع المعيش، ورصدا للوقائع والأحداث، ومنهاجا تربويا لإعداد الشباب إعدادا يمكنهم من الاضطلاع بمهمة الإصلاح والبناء، فإنها ببحثها في ماضي البشرية، وتأملها في حاضر الأمة، واستشرافها لمستقبلها في ضوء الرؤية الإسلامية المبنية على قواعد الشرع ومقاصده وضوابطه، جعلت التربية الأمنية من أولوياتها... وقد انطلق مبدعها بديع الزمان النورسي في ذلك من مسلَّمة منطقية مُضمَّنها أن تحقيق الأمن والأمان نعمة ربانية وعد الله تعالى بها عباده الصالحين، وهيأهم لحمايتها[12]، وهذه القناعة هي التي وجّهت اهتمام الإمام سعيد النورسي وجعلته ينذر حياته لنشر الأمن واستتبابه، وإسعاد الناس في جميع ربوع وطنه[13]، وقد ذكر عن نفسه في أكثر من مناسبة أن قناعاته الشخصية قد أملت عليه «بذل كل حياته في سبيل إسعاد هذه الأمة، ونشر الأمن، والسعادة في ربوع البلاد»[14]، ويشهد لهذا الاختيار تصريحاته المتكررة أمام جهات أمنية وطنية، ومنها قوله:«ليهلكني الله ثلاث مرات إن لم أكن قد خدمت الأمن العام لهذا البلد أكثر من ألف مدير أمن، وأكثر من ألف مدعٍ عام»[15]. ولم يكن ذلك مجرد ادعاءات نطق بها اللسان، أو شعارات رددتها الشفتان للظفر بحظوظ نفسية مؤقتة، وإنما كانت قناعات واعية عبّر عنها في مواضع عدة من رسائله، وذلك رغبة منه في تخليد ذكراها، وإيصالها إلى أكبر قدر ممكن من القراء؛ لذلك فقد جاءت رسائله طافحة بما

يحثّ على نشر الأمن وحفظه، واستتبابه[16]، ويكفينا من ذلك قوله مثلا:«أما نحن طلاب النور، فإننا نسعى لمعاونة الإدارة، وإقرار الأمن والنظام، وإحراز السعادة للأمة والوطن»[17]؛ وهذا الخطاب وغيره من خطابات النورسي، كانت كافية لتحريك همم الأتباع، وحملهم على مساندة الأمن لإيقاف مدّ القوى الهدامة التي تحاول الإخلال بالنظام العام، يقول الأستاذ المربي:«على الرغم من وجود قوى معنوية رهيبة تحاول الإخلال بالأمن والنظام، وعلى الرغم من فعالياتهم ونشاطهم في البلاد كافة... لم يستطيعوا الإخلال بالأمن، وما سبب ذلك إلاّ ستمائة ألف من نسخ رسائل النور، وخمسمائة ألف طالب من طلابها، وقد أصبحوا كقوة معنوية مساندة للأمن ليصدوا تلك القوى الهدامة الرهيبة»[18].

لم تكن كلمات الأستاذ الموجّه في حقيقة الأمر كلمات عابرة منفعلة بالواقع، بل كانت مؤثرة في نفوس أبناء الأمة وفاعلة في واقعهم، إذ سرعان ما وجدت لها أرضا خصبة، وعقولا واعية، وآذانا صاغية، وإرادة صادقة، بحيث يعترف طلاب النور أن توجيهات أستاذهم لم تكن لتخرج عن مفهوم تحقيق سعادة الدارين، وذلك بدعوتها الخالصة إلى حفظ الأمن والاطمئنان بالمفهوم الواسع، وهو ما يفيده قول أحد المريدين:«ومع أنني مرتبط بهذه الرسائل عن قرب، إلا أنني لم أجد فيها لا تحريضاً للشعب ضد الحكومة، ولا دعوة لتأسيس جمعية سرية تقوم بإخلال الأمن، و لم أسمع من أستاذي أي شئ حول دعوى المهدوية، أو دعوى التجديد، ولا أي تحريض ضد الأمن. إن الهدف الوحيد، والخدمة الوحيدة لرسائل النور ولأستاذنا ولنا نحن طلبة النور، هي إيفاء خدمة مقدسة للإسلام، ولاسيما إيفاء خدمة مقدسة للأمة التركية المسلمة من ناحية الإيمان والأخلاق»[19].

وفعلا، فقد أسهمت رسائل النور بتوجيهاتها البنّاءة الهادفة في إعداد جيل نوري متعاون لحفظ أمن البلاد، وحماية أرواح العباد، وهذا ما اعترف به ضباط الأمن والمسؤولون عن النظام في أكثر من مناسبة، ومن ذلك قولهم:«إن رسائل النور وطلابها هم كأفراد أمن معنويين، يحاولون الحفاظ على الأمن والنظام في البلاد عن عقيدة»[20]، ومنه أيضا، ما قاله ضباط منصفون لثلاث ولايات تركية:«إن طلاب النور ضباط معنويون للأمن في البلاد، إنهم يساعدوننا في الحفاظ على الأمن والنظام، لما يجعلون من

فكر كل من يقرأ رسائل النور بالإيمان التحقيقي حارساً ورقيباً عليه، فيسعون بـــذلك للحفاظ على الأمن العام»[21].

هكذا يقرّ رجال الأمن ـــ والإقرار سيّد الأدلة ـــ أن رسائل النـــور وطلابهـــا قـــد أسهموا في تحقيق الأمن والأمان عن اقتناع واختيار؛ والواقع يشهد أن الأمن قد استحكم في الولايات التي شُيِّدت فيها مراكز النور، وانتشرت فيها رسائل بديع الزمان النورسي، ووجد فيها طلابه بكثرة[22]، وقد جاء في "ملحق قسطموني" أنه«رغم كثـــرة طـــلاب رسائل النور، ورغم ما في أيديهم إلى هذا الحد من القوة والحق، لم يمسّوا الأمن والنظام بشيء، بل لم يخل ألف طالب منهم بالحياة الاجتماعية، بقدر ما يخل به عشرة أشخاص آخرين. وإن هذا الأمر مشاهد لمن كان له قلب غير فاسد»[23]. أضف إلى ما سبق ذكره، فإن السجون التي اعتقل داخلها طلاب النور قد تحوَّل فيها المجرمون السفاكون للدماء إلى مصلحين أوفياء ورحماء: مواطنين أوفياء لمعتقداتهم، ورحماء بوطنهم[24]، وما ذلـــك إلاّ بفضل الجهود المشكورة التي بذلها طلاب النور في تربية الســـجناء وإعـــادة تأهيلـــهم، ولاشك أن "سجن دنيزلي" يعد المثال الواضح، والأنموذج الحي لهذا الكلام، فما إن دخله طلاب النور ورسالة "**الثمرة**" التي كُتبت للمسجونين حتى تاب فيه أكثر مـــن مـــائتي سجين، وتحلّوا بالطاعة والصلاح، وذلك في غضون ثلاثة أشهر أو تزيد؛ حتى إن قـــاتلاً لأكثر من ثلاثة أشخاص كان يتحاشى أن يقتل "بقة الفراش". فلم يعد عضواً لا يضر، بل أصبح عنصرا فعّالا، نافعاً للعباد، رحيماً بالبلاد[25].

هكذا نجح النورسي في إعداد جيل صالح في نفسه، ومصلح لغيره، جيـــل متعـــاون لتحقيق الأمن والأمان، فما السر في هذا النجاح الباهر؟

3. سبل تحقيق الأمن والأمان عند الإمام بديع الزمان:

لقد اقتنع العالم المجدد بديع الزمان النورسي منذ بداية أمره بأن تحقيق الطمأنينة للأمة، وحفظ الأمن للوطن مأتىً عظيم لا يتأتى إلاّ بإعداد العدة الكافية لـــذلك، فصـــرح في مناسبات عدة بالأساليب والوسائل المفضية إلى حفظ الأمن والأمان، وتحقيق الســـعادة والاطمئنان، ومن تصريحاته قوله:«هناك خمسة أسس ضرورية لإنقاذ هذه الأمة، وهـــذا الوطن، ونجاتهما من الفوضى والإرهاب، ومن المخاطر العظيمة: الأول: الرحمة، والثاني:

الاحترام، والثالث: الأمن والثقة، والرابع: اجتناب المحرمات، والتمييز بين الحرام والحلال، والخامس: الطاعة، وترك التسيب»[26].

يرى الإمام النورسي أن هذه الأسس الخمسة هي بمثابة ركائز أساسية للنظام في البلاد، والمساس بها يعني ـــ بضرورة البرهان المنطقي ـــ المساس بالوطن والأمة والنظام... وإن من تدبر القرآن الكريم عن وعي وعلم ومعرفة وتجردٍ كامل تراءى له أن أقصر الطرق إلى تحقيق الأمن، وأيسر السبل إلى تثبيت الأمان، ما يأتي:

1.3 ضرورة تحكيم القرآن الكريم في شؤون الحياة: يرى الإمام النورسي أن هدى القرآن يهدف إلى تحقيق سعادة الدارين، وذلك بحفظ الأمن والأمان، وإرساء الاستقرار والاطمئنان[27]، ويحول ـــ بموجب دساتيره المُحْكَمة ـــ دون أية محاولة للإخلال بالنظام العام والمسّ به[28]، وتعليل ذلك أن القرآن الكريم رسالة ربانية واقعية تملك من الحكمة والقوة ما يؤهلها لحل ـــ ولو تدريجيا ـــ مختلف المشاكل التي تعاني منها الإنسانية سواء أكانت سياسية، أم اقتصادية، أم اجتماعية، أم أخلاقية، أم فكرية، وهلم جرا[29]، يقول الإمام النورسي عن القرآن الكريم المستوعب للأحكام والتوجيهات السماوية الفاعلة: إنه«قد تضمن طراز بيانه جميع دساتير سعادة الدارين، ودواعي الأمن والاطمئنان، وروابط الحياة الاجتماعية، ووسائل التربية، وحقائق الأحوال»[30].

2.3 تفعيل التربية الدينية لإصلاح الشباب المتسمم بسموم العلمانية: يرى الإمام النورسي أن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، وإن كانت طرفا في سيادة الفوضى والقلاقل الوقتية، فإن المشاكل الدينية ـــ ولاسيما الجهل به وبحقائقه، وعدم ترويض النفوس على تكاليفه وتوجيهاته ـــ تُعد سببا مباشرا في اختلال الأمن وانعدامه، لذا فإن أي تقويم للاعوجاج لا يمكن أن يتحقق إلا بتفعيل الوسائل الدينية، وقد استدل الإمام النورسي على صحة هذه الدعوى بالنجاح الباهر الذي حققه رسول الله ρ في تبليغ الرسالة في عصر كثر فيه الهرج والمرج، وكانت السيادة فيه للتسيب والفوضى[31].

فبعد أن قرر هذه الحقيقة ذكر بعضا من مظاهر التربية الدينية، وأهمها:

1.2.3 التربية العقدية، ويعني بذلك تربية أبناء الأمة على العقيدة الصحيحة بما في ذلك تربيتهم على الإيمان بالقدر خيره وشره، لأن ذلك يورث الإيمان بالأمن والأمان،

ويحقق الروح والريحان، يقول بديع الزمان:«فكما أن القدر لا يورث ضيقاً، فإنه يمنح خفة بلا نهاية، وراحة بلا غاية، وسروراً ونوراً يحقق الأمن والأمان، والروح والريحان»[32].

2.2.3 التربية على تعزيز الأخوة الإسلامية: يرى الإمام النورسي أن تعزيز الأخوة الإسلامية، ونبذ الاختلافات الواهية يعد من أهم المطالب الوقتية[33]، إذ متى تحققت الأخوة بالمفهوم السابق كان ذلك مدعاة لحمل الناس على الاحتراز من إذاية بعضهم بعضا، يقول رحمه الله:«ألا إن المؤمن الغيور لا تسعه شهامته أن يؤذي المؤمن قط، فكيف يسبب له الأذى لمنفعته الجزئية الخاصة، فلابد أن يسارع إلى التوبة والإنابة إلى الله حالما يشعر بخطئه وتسبّبه في أذى المؤمن»[34].

3.2.3 تفعيل التربية الروحية: تعد التربية الروحية وما تستدعيه من التوجيه إلى صالح الأخلاق ومكارمها، من الواجبات الدينية العظيمة، والمكاسب الحضارية الجليلة، إذ بموجبها يمتثل المكلفون لأوامر الشرع ونواهيه، ويذعنون لتوجيهاته عن اختيار وطواعية، فإذا تحقق ذلك تيسر التحكم فيهم وتوجيههم إلى ما يخدم مصالح العباد، وما به يحفظ الأمن في البلاد... وهذا ما يستدل له النورسي بقوله:«إن إدارة مائة من الفاسقين الذين فسدت أخلاقهم وتزلزل اعتقادهم، أصعب من إدارة ألوف من المتدينين. فأهل الإسلام لا يحتاجون إلى التشويق على الحرص على الدنيا، بل يحتاجون إلى تنظيم مساعيهم، والتعاون، والأمنية بينهم، وما هي إلاّ بالتقوى»[35].

3.3 الحث على ضرورة إنشاء المؤسسات التعليمية والتربوية، وذلك من منطلق أن الجهل جرثومة قاتلة تمثل أصل أصول كلِّ الشرور الاجتماعية[36]، واستجابة لهذه القناعات المبررة بوقائع حياتية معيشية، فقد«صرف بديع الزمان عمره في محاربة هذه الجرثومة القاتلة، إذ رأى أنه ما لم تجهز الجماهير بالعلم والمعرفة، وما لم يتعود المجتمع على التفكير المنظم، وما لم تُجابه تيارات الأفكار المنحرفة، فمن العبث الأمل في خلاص هذه الأمة»[37]، وهذا أمر بدهي، فإن الله تعالى قد زود آدم في بداية أمره بنعمة العلم تأهيلا له للقيام بمهمة تعمير الأرض والخلافة فيها، فكان ذلك مما «أهّل الإنسان لينال أفضلية، ليس على الملائكة وحدهم، بل أيضاً على السماوات والأرض والجبال، في حمل

الأمانة الكبرى»[38]، من هنا كانت الضرورة داعية إلى إنشاء المؤسسات التعليمية والتربوية الهادفة: أداء للأمانة، وحرصا على تخليص الأمة من الشرور الفتاكة المختلفة.

خاتمة: يتبين من خلال الفقرات السابقة، أن فلسفة الأمن والأمان عند الإمام بديع الزمان تقوم على منهج دقيق يتوخى رصد الوقائع والأحداث لتجسيد الداء وتقديم مقترحات الدواء: مقترحات علاج تجمع بين الترهيب والترغيب، ومن ثمة فقد آثر النورسي تفعيل المنهج الوقائي القاضي بتوجيه الأنظار إلى الوقاية من أعمال العنف والتخريب، واستئصالها نهائيا، وذلك بإيجاد قناعات داخلية تحول دون وقوعها، ذلك أن الوقاية خير من العلاج، ولاسيما أن ما يترتب عن الأعمال الإرهابية من الأضرار المختلفة: سياسيا وماديا واجتماعيا ونفسيا، أضخم من أن تعالج بعد حصولها بمجرد أساليب الردع، أو التشريعات الزجرية... وهذا في الحقيقة تفكير رشيد، ومنهج سديد تحتاج الأمة إلى تفعيله ليس في زمن وقطر معينين فحسب، بل في كل زمان، وحيث يرفع الآذان.

/تَمَّ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات/

الهوامش

1 ــ انظر: تفسير القرطبي358/15، وكذلك: تفسير ابن كثير153/2.

2 ــ أخرجه البخاري في صحيحه، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم(ح25)، ومسلم في صحيحه، واللفظ له، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله محمد رسول الله(ح22).

3 ــ أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر الإخبار عن إباحة قتل المرء المسلم إذا ارتكب إحدى الخصال الثلاث التي من أجلها أبيح دمه(ح4408).

4 ــ أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن(ح1395).

5 ــ مجمع الزوائد، باب منزلة المؤمن عند ربه.

6 ــ أخرجه الحاكم في مستدركه(ح2623)، وابن حبان في صحيحه، باب ذكر نفي القصاص في القتل(ح5996).

7 ــ أخرجه البخاري في صحيحه، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم(ح2995).

8 ــ أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء فيمن يقتل نفسا(ح1403)، وقال: حديث أبي هريرة، حسن صحيح.

9 ــ أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله(ح96).

10 ــ صيقل الإسلام، ص337.

11 ــ مجموعة اللمعات من كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ص862، ترجمة: الدكتور إحسان الصالحي.
12 ــ مجموعة اللمعات من كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ص41.
13 ــ مجموعة الشعاعات من كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ص544. وتشير الشهادات الحية إلى أنه لم يثبت عن سعيد النورسي الغيور على دينه ووطنه أنه حرض الشعب على الحكومة أو دعا إلى ما من شأنه أن يخل بالأمن والنظام. انظر: مجموعة الشعاعات، ص622.
14 ــ مجموعة الشعاعات من كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ص544.
15 ــ مجموعة اللمعات من كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ص397.
16 ــ ملحق قسطموني، ص212.
17 ــ مجموعة الشعاعات من كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ص563.
18 ــ ملحق أميرداغ، ص368.
19 ــ مجموعة الشعاعات من كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ص622.
20 ــ ملحق أميرداغ، ص368، وانظر: مجموعة الشعاعات، ص617.
21 ــ انظر هذه الشهادة في اللمعة السادسة والعشرين من مجموعة اللمعات، ص400.
22 ــ ملحق قسطموني، ص165.
23 ــ ملحق قسطموني، ص165.
24 ــ مجموعة اللمعات، ص400، وانظر: اللمعة السادسة والعشرون، ص401.
25 ــ مجموعة اللمعات، ص401/400.
26 ــ ملحق قسطموني، ص213.
27 ــ ملحق قسطموني، ص184/183.
28 ــ ملحق أميرداغ، ص368.
29 ــ إشارات الإعجاز، ص288.
30 ــ ملحق قسطموني، ص184.
31 ــ إشارات الإعجاز، ص288.
32 ــ مجموعة الكلمات، ص552.
33 ــ مجموعة المكتوبات، ص349.
34 ــ صيقل الإسلام، ص337.
35 ــ المثنوي العربي، ص274.
36 ــ صيقل الإسلام، ص451.
37 ــ من كلام العالم الفاضل محمد فتح الله كولن في تقديمه لكتاب المثنوي العربي.
38 ــ الكلمات، ص270.